منهجية البحث في دلالة الألفاظ في التراث اللساني العربي
الراغب الأصفهاني أنموذجاً

د.عبد القادر قصاصي

جامعة أحمد دراية، أدرار

الملخص:

البحث الذي بين يديك يروم الوقوف عند آليات البحث اللساني التراثي في دلالة الألفاظ، وبيان منهج علماء العرب في ذلك بطرق مؤلفات أحد الأعلام اللغويين الذين تناولوا القران الكريم تفسيراً وبحثاً عن مقصدية ألفاظه في سياق دلالي خاص، وتبيان أوجه الفرق بين اللفظ داخل السياق القرآني وخارجه، وهو مانتلمسه في تضانيف الراغب الأصفهاني وبخاصة كتابه المفردات في غريب القرآن موضوع بحثنا.

ABSTRACT: The present paper attempts to discuss the mechanisms of the traditional linguistic research in the meaning of words considering the approach of the Arab scholars. For this purpose, a book of one of the prominent linguists who studied and explored the meaning of words in the Holy Qu'ran within a particular semantic context, and to illustrate the differences in the meaning of words within the Qu'ranic context, and out of it. This is what can be noticed in the books of Raghib el-Asfahani, mainly in his book "Words in the Unusual Qu'ran" subject of this paper

تعد إشكالية تطبيق مناهج البحث في اللغة والأدب من المعوقات التي تعترض سبيل الباحث العربي في الوصول إلى الحقيقة اللغوية، ولعل السبب في ذلك يعود إلى عدم إدراكه لمفهوم منهج البحث من جهة، وعدم استعماله للإجراءات المتعلقة بهذا المنهج استعمالاً صحيحاً من جهة ثانية، مما يستدعي الوقوف على استخداماته في التراث اللساني العربي القديم بمنظورٍ علمي يكشف له عن المجال المفهومي في القرآن الكريم وعند علماء العربية القدامى، الذين حازوا قدم السبق في إرساء منهج البحث العلمي القائم على الجمع بين النظرية والتجريب؛ حيث أنهم استقوا تلك النزعة التجريبية من عقيدتهم الإسلامية وحاولوا تطبيقها على علومهم التجريبية[1] لينتقل بعد ذلك هذا المنهج إلى العلوم اللغوية، التي وضع علماءها منهجاً علمياً يعتمد الكشف عن الحقيقة اللغوية واستقراءها مع الأخذ بالإجراء التطبيقي الذي يسمح بتصنيفها وتنظيمها قبل تبنيها.

لذلك سنحاول في إشارة دقيقة الوقوف على منهج الراغب في دراسة دلالة الألفاظ، وقد نظَّر لهذه المنهجية في كتابه مقدمة في التفسير الذي وضع فيه آليات التفسير ومنهج الوصول إلى دلالة الألفاظ، وسماه مقدمة في التفسير لأن تفسير دلالة الألفاظ وتطبيق منهجية البحث فيها جاء في كتابه ((المفردات في غريب القرآن))؛ حيث بين الطريق للوصول إلى معاني المفردات العربية عامة، والقرآنية خاصة، وقد جعلنا هذا الكتاب مادة لغوية لمقالنا محاولين استنباط منهجه في التحليل اللغوي والدلالي وكيفية الإفادة منه في مجال البحث الدلالي العربي.

---

[1] ينظر: مناهج البحث في التراث العلمي العربي، مسلم الزيبق، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد، الإمارات، 1993م، ص67

ويعد الراغب صاحب نظرية معرفية في علم لغة القرآن جمع فيها بين منهج النقل كأصلٍ من الأصول المعرفية عند العرب، ومنهج العقل كفرع يمكن من خلاله الوصول إلى الحقيقة المعرفية، فألحق الفرع بالأصل، ونلمس ذلك في كتابه المفردات حين فرق بين النهج والمنهج معتمداً قول ابن عباس في تفسيره قوله تعالى: (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً)[1]؛ الذي جعل الشرعة هي القرآن والمنهاج هو السنة، ورأى الراغب أنه ما دامت سنة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته طريق تحروه لفهم االقرأن، فهي منهج يجب إتباعه واعتماده كأصلٍ للوصول إلى دلالة الألفاظ في القرآن الكريم، باعتباره النهج المستقيم، وما التأويل العقلي الإيجابي لدلالة اللفظ سوى فرع يجب إلحاقه بهذا الأصل الصحيح[2].

ومن ههنا نرى أن منهجية البحث في دلالة الألفاظ عند الراغب ارتكزت على آليات متعددة ستكون نقاط بحثنا وقد جاءت كالآتي:

1- منهج القياس بالدلالة:

استطاع الراغب من خلال هذا المنهج إعطاء الأولوية لدلالة ألفاظ القرآن في البحث الدلالي على الألفاظ العربية، باعتبار ألفاظ القرآن لب كلام العرب، فهي الأصل الذي يمكن من خلاله الانطلاق في دراسته دلالة الألفاظ العربية، وهذا ما عبر عنه بقوله: ((إن أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية... فتحصيل معاني مفردات ألفاظ

---

[1] سورة المائدة، الآية: 48.

[2] ينظر: الدلالة عند الراغب الأصفهاني، المغيلي خدير، إشراف: أحمد حساني، رسالة دكتوراه، جامعة السانيا– وهران، 2010م، ص 433، 434.

القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه... فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزُبْدَتُهُ، وواسِطتُهُ وَكَرَائمُهُ، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم واليها مفزع حذَّاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم. وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات منها والمشتقات منها هو بالاضافة إليها كالقشور والنَّوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة))[1]، فنلاحظ من خلال قوله أنه أراد الجمع بين القرآن كأصلٍ وكلام العرب كفرع عنه، وهو منهج القياس بالدلالة الذي يتضمن ((الجمع بين الأصل والفرع بدليل العلة))[2]، والعلة في الجمع بين دلالة ألفاظ القرآن ودلالة الألفاظ العربية أن القرآن هو مصدر المادة اللغوية التي يمكن الانطلاق منها في دراسة جميع العلوم العربية، وهذا ما عمل به علماء العربية في دراساتهم اللغوية، والفقهاء في استنباطهم لأحكام الشريعة.

واعتمد علماء العربية هذا المنهج لما له من أثرٍ في البحث الدلالي، حيث يمكن من خلاله الإفادة من دلالة الألفاظ القرآنية في وضع المفاهيم الجديدة كما فعل علماء الأصول عند وضعهم لمصطلحات أصول الفقه.

2- منهج التحليل القائم على السياق:

لقد نهج الراغب في تفسيره لبعض ألفاظ القرآن منهجاً تميز به عن علماء التفسير وهذا ما أشار إليه الزركشي في قوله أن هذا النوع من

---

[1] المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت،لبنان، ط3، 2001م، ص15

[2] شرح مختصر الروضة، ابن سعيد الطوفي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط4، 2003م، 436/3

التفسير الذي لم يرد فيه نقل ((قليل وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها، واستعمالها بحسب السياق وهذا يعتني به الراغب كثيراً في كتاب (المفردات) فيذكر قيداً زائداً على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ، لأنه اقتنصه من السياق))[1]

وقد استعمل منهج التحليل الدلالي القائم على السياق في دراسته للظواهر الدلالية كالترادف، والمشترك اللفظي، والتضاد.

في الترادف نجده يعتمد السياق في نفي الترادف المطلق والتمييز بين الترادف الواقع في الإفراد والمتفق على جوازه عند الأصوليين[2]، والترادف التركيبي الذي يستحيل وقوعه وهذا ما نلمسه في قوله في مادة بتك : البتك يقارب البَتُّ لكن البَتْكُ يستَعْمَلُ في قطع الأعضاء والشَّعْرُ، يقال بَتَكَ شَعْرَهُ وأُذنَّهُ، قال الله تعالى ﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾[3]. .. وأما البَتُّ فيقال في قطع الحبل والوصل، ويقال ((طَلَقْتُ المَرْأَة بَتَّةً. ..))[4]، نفهم من هذا القول أنه لا يمكن للفظة أن تأخذ مكان لفظة أخرى وترادفها في الدلالة على ما يستدعيه السياق لأن الترادف الحاصل بينها ترادف جزئي بنية استعمال الراغب لفظة يقارب، فالبتك والبت يترادفان في جزء من المعنى وهو القطع ويختلفان في الجزء الآخر

---

[1] البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث. القاهرة. مصر،2006م، ص431

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص967.

[3] سورة النساء، الآية. 119

[4] المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني مادة (البتك) تحقيق: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت. لبنان، ط3، 2001م، ص46

وهو الاستعمال[1]؛ حيث يدل القطع في البت على قطع الحبل والوصل بقرينة السياق المستعمل فيه، ويدل القطع في البتك كذلك على قطع الشعر والأعضاء بقرنية السياق القرآني الوارد فيه.

كما أشار الزركشي في باب الترادف أن هناك من يستعمل الألفاظ المتقاربة في اللفظ والمعنى استعمالاً واحداً ظاناً أنهما مترادفان كاستعمال مد وأمد، وقد وضع قاعدة في هذه الألفاظ مفاداها أنه: ((لا يقوم مرادفها فيما استعمل فيه مقام الآخر، فعلى المفسر مراعات الاستعمالات والقطع بعدم الترادف ما أمكن))[(2)]، فهو بهذه القاعدة يشير إلى منهج التحليل القائم على السياق الذي اتخذه الراغب مقياساً لإظهار المساحات الدلالية بين هذا النوع من الألفاظ وفي غيرها، فنجده يقول في الفرق بين "مد" و "أمد" ((وأكثر ما جاء الإمداد في المحبوب. والمدُّ في المكروه نحو: (وَأَمْدَدْنَـٰهُم بِفَـٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ)[(3)]، (وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ)[(4)]))[(5)]، فنرى أن سياق الآية الأولى يدل على أن الإمداد بالفاكهة واللحم شيء محبوب، بينما سياق الآية الثانية يدل على أن المد بالعذاب شيء مكروه.

كما اخذ بهذا المنهج في دراسته لظاهرة المشترك اللفظي، فربط ثبوت المشترك اللفظي بالسياق، فلا يدل اللفظ المشترك عنده على معاني

---

[1] ينظر: الدلالة عند الراغب الأصفهاني، ص 162.

[2] البرهان في علوم القرآن، ص967

[3] سورة الطور، الآية 22.

[4] سورة مريم، الآية 79.

[5] المفردات، مادة (مد)، ص967

مختلفة إلا إذا دل عليها السياق المستعملة فيه سواء كان ذلك الاستعمال مجازاً أو حقيقة، فلم يثبت عنده في المفردات دلالة لفظ الأرض على الزكام لعدم دلالة السياق القرآني على ذلك فاكتفى بقوله في مادة "أرض" ((الأرض: الجرم المقابل للسماء، وجمعه أرضون، ولا تجيء مجموعة في القرآن الكريم...))[1] ويبين من خلال هذا المنهج السياقي أن اختلاف معاني المشترك اللفظي إنما يرجع إلى المعنى الذي يعينه السياق المستعمل فيه، مما يبعد المعاني الأخرى كدلالة لفظ العين في قوله تعالى: (وَحُورٌ عِينٌ)[2] على معنى واحد من معاني العين المجازية وهو النساء[3] فيرى الراغب أنه رغم تعدد معاني لفظ العين إلا أن هذا السياق قبل معنى واحداً من هذه المعاني تبعاً لما يقتضيه المقام وسياق الحال، وهو بهذا يقارب ما أشار إليه ستيفن أولمان الذي يرى أن الكثير من كلماتنا تدل على معاني كثيرة مختلفة، لكن المألوف عندنا استعمال معنى واحد فقط من هذه المعاني في السياق المعين[4].

كما استعمل منهج السياق في نفي التضاد في بعض الألفاظ ونلمح ذلك في رده على المبالغين في هذه الظاهرة أمثال ابن الانباري، الذي جعل لفظة فوق من الأضداد بدلالتها على ما فوق وما دون، فرد الراغب رأيه معتبراً قوله توهم خاطئ ففسر قوله تعالى: (إِنَّ الله لاَ يَسْتَحْيِ أَن

---

[1] المصدر نفسه مادة (أرض)، ص25

[2] سورة الواقعة، الآية 22.

[3] ينظر : المفردات، مادة (عين)، ص358.

[4] ينظر : دراسات في الدلالة والمعجم، رجب ابراهيم، دار غريب للطباعة والنشر، ص46

يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)[1] بقوله ((قيل: أشار بقوله (فما فوقها) إلى العنكبوت المذكورة في الآية، وقيل: معناه ما فوقها في الصغر، ومن قال: أراد ما دونها فإنما قصد هذا المعنى، وتصور بعض أهل اللغة أنه يعني أن فوق يستعمل بمعنى دون فأخرج ذلك في جملة ما صنفه من الأضداد، وهذا توهم منه))[2]، فبين أن كلمة فوق تستعمل للدلالة علة ما فوق سواءً كان كبيراً أم صغيراً لا على ما دون كما اعتقد ابن الانباري.

فمما لا شك فيه أن لهذا المنهج السياقي أثر كبير على البحث الدلالي، حيث يمكن اعتماد معياراً لضبط الظواهر الدلالية كالترادف والمشترك اللفظي والتضاد وأبعادها عن إطار الغلو والمبالغة التي تعقد من مفهومية دلالة الألفاظ العربية عامة، والألفاظ القرآنية خاصة.

3- منهج التأسيس لعلم المصطلح:

لقد كانت نظرة الراغب للمصطلح نظرة علمية جادة، قاربت بين المناهج اللغوية العربية والدراسات اللغوية المعاصرة، فانطلقت دراسته في التفسير الموضوعي ((من خلال دراسة المفردات القرآنية، وبمدخل لغوي في تحديد دلالتها))[(3)]، مراعياً بذلك الأبعاد الثلاثة في دراسة النص اللغوي عامة والنص القرآني بخاصة، والمتمثلة في الوحدة الموضوعية والمفردات القرآنية والمناهج اللغوية، مع إعطاء المفردات القرآنية دلالة خاصة داخل النص القرآني تجعله متميزاً عن النصوص الأخرى.

---

[1] سورة البقرة، الآية: 26.

[2] المفردات، مادة فوق، ص389.

[3] المفاهيم والمصطلحات القرآنية مقاربة منهجية، عبد الرحمان حللي، www.almultaka.net، 25 مارس 2007م

وقد كان كتابه المفردات أهم مساهمة في هذا الجهد الدلالي العربي بإعادته للمصطلح القرآني ومقاربة المنهج اللساني الحديث في التحليل الدلالي والذي يفرق بين معنيين في الدراسة المعجمية والدلالية هما[1]:

الأول: المعنى المعجمي الأساسي أو المفهوم الضمني للكلمة وهي ((الدلالة الأساسية التي تكتسبها الألفاظ عن طريق الوضع اللغوي))[2].

أما الثاني : فهو المعنى العلائقي أو السياقي للكلمة، فيرى أصحاب النظرية السياقية الحديثة أن ((معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى وأن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورها لها))[3]

ويقترب هذان المفهومان مما عبر عنه دي سوسير بالمحور الأفقي أو الركني القائم على العلاقات الركنية Rapports Syntagmatique التي تراعي الكلمات المتجاورة في الخط الركني والتي لا تأخذ قيمتها إلا بمقابلتها بالكلمات السابقة لها أو اللاحقة بها أو بهما معاً داخل التركيب، في حين يقوم المحور الرأسي القائم على العلاقات الاستبدالية Rapports Syntagmatique بالبحث في العلاقة القائمة بين اللفظة الواردة في السياق والألفاظ الأخرى المقاربة لها في المعنى أو اللفظ، وهي علاقة قائمة على التشابه من حيث ترتيب هذه الكلمات في الدماغ.

---

[1] **ينظر : المرجع نفسه.**

[2] **فصول في علم اللغة العام، محمد علي عبد الكريم الرديني، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1 2004م، ص255**

[3] **علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، بيروت– لبنان، ط5، 1998م، ص.36**

فادني تأمل في كلام دي سوسير يهدي إلى ذلك التأسيس المنهجي الذي اعتمده الراغب في دراسة مفردات القرآن، والإبانة على الفروق الدلالية بينهما معتمداً المنهجية الآتية[1]:

1- إيراد الدلالة الأصلية للفظ (المعنى المركزي أو الدلالة المركزية)

2- محاولة رصد اختلاف دلالة اللفظ الواحد ضمن السياقات الوارد فيها (المعنى العلائقي أو الدلالة الهامشية)

3- محاولة حصر اختلاف المعاني ورصد تنوعاتها باختلاف الاشتقاق والتصريف (المحور الاستبدالي أو العلاقات الترتيبية)

وقد كان من ثمار هذه المنهجية العامية في التحليل كثرة المصطلحات المتعددة في شتى العلوم وتنوعها في كتاب المفردات وقد جاءت كالآتي:

- مصطلحات في اللغة: اللسان، الفصاحة، البلاغة، اللحن، البيان، الدلالة، السيمياء أو العلامة، القول، اللفظ، الكلام، الإعراب، القلقلة، الحمحمة، الحبسة.

- مصطلحات في الفقه: بالمناسخة في الميراث، الاغتسال، السؤر، الطهارة، الصلاة، الزكاة، البيع.

- مصطلحات في المنطق: قضية كاذبة، قضية صادقة، الكل، الذات، النوع، الجنس، العرض، الحد، القياس.

- مصطلحات في أصول الفقه: المحكم، المتشابه، المجمل، القياس الجلي، المطلق، المفهوم، المنطوق.

---

[1] ينظر: الدلالة عند الراغب الأصفهاني، ص 121، 122.

– مصطلحات في الطب: حمى البعير، رجل مبطون، الجراحة، القرحة، الصرّعة، النّسا، الجُنبُ، الصُّداع، العُذرة، الرمد، السَّخر، القماص.

ومما يدل على اهتمام الراغب بالمصطلح هو ايراده لمادة أصطلح وصلح، في حين اكتفت أثر كتب اللغة بمادة صلح لدلالتها على الاصطلاح، ولكن الراغب جمع بينهما قائلاً في مادة "صلح" ((والصُّلْحُ يَخْتصُ بإزالة النَّفار بين الناس يقال منه اصْطلحواْ وتصَالحواْ...))[1]

واستطاع الراغب بهذا المنهج الاصطلاحي في دراسة المفردات القرآنية، أن يصنف استعمالات المفردة القرآنية إلى أربعة أصناف مفرقا بذلك بين المفردة كلفظٍ وكمفهوم وكمصطلح، فجاءت كالآتي[2]:

الصنف الأول: تكون المفردة فيه لفظاً لغوياً، تبعاً لاستخدامها اللغوي الوارد في السياق، إما بوضعها اللغوي الأصلي أو المجازي ونمثل لذلك بلفظة الحج. وضعها اللغوي الأصلي: قال الراغب: ((أصل الحج القصدُ للزيارة))[3] وضعها اللغوي المجازي: قال الراغب: ((وسمي سَبْرُ الجِراحَة حجّاً))[4]

---

[1] المفردات، مادة (صلح)، ص289.

[2] 130، 131. ينظر: الدلالة عند الراغب الأصفهاني، ص

[3] المفردات، مادة (حج)، ص115.

[4] المصدر نفسه، مادة (حج)، ص115.

الصنف الثاني: تكون فيه المفردة القرآنية مصطلحاً يقوم على دلالة محددة وحدية التعريف لا ترادف مفردة أخرى كمفهوم الحج في الفقه قال الراغب: ((خص في تعارف الشرع بقصد بيت الله تعالى إقامة للنسك))[1]

الصنف الثالث: تكون المفردة فيه مفهوماً قرآنياً منفتحة الدلالة ومتعددة التعريف لاشتراكها في المعنى مع ألفاظٍ أخرى فتأتي هذه المفردة مصطلحاً أحياناً ومفهوماً أحياناً أخرى كلفظ التقوى واشتراكه في المعنى مع لفظ الخوف في مفهومه ثم وروده كمصطلح في تعارف أهل الشرع يقول الراغب: ((والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف، هذا تحقيقه، ثم يسمى الخوف تارة تقوى والتقوى خوفاً حسب تسمية مقتضى الشيء بمقتضيه والمقتضى بمقتضاه، وصار التقوى في تعارف الشرع حفظ النفس مما يُؤْثِمُ))[2].

الصنف الرابع: تأتي المفردة القرآنية فيه مفهوماً خالصاً غير محددة التعريف منفتحة على مفاهيم متعددة كلفظ الإيمان الدال حسب استعماله في السياق على دلالات متعددة يقول الراغب: ((والإيمان يستعمل تارة اسماً للشريعة التي جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام... وتارة يستعمل على سبيل المدح ويراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق... ويقال لكل واحد من الاعتقاد والقول الصدق، والعمل الصالح: إيمان...، وجعل الحياء وإماطة الأذى من الايمان))[3]، فالمفهوم عكس المصطلح،

---

[1] المصدر نفسه، مادة (حج)، ص115.

[2] المصدر نفسه، مادة (وقى)، ص545.

[3] المصدر نفسه، مادة (أمن)، ص36.

حيث يفتح النص القرآني على باب الاجتهاد في الأمور التي لم يرد فيها نص قطعي الدلالة.

فهذه المنهجية في التأسيس للمصطلح لها أثر في البحث الدلالي لما توفر من ضبطٍ للمفاهيم وتوحيد للجهود العربية حول وضع المصطلح وتأطير التصورات الفكرية ووضعها في إطار معين.

فقد كان المصطلح اللساني من القضايا اللغوية التي فرضت نفسها على واقع الحضارة العربية الإسلامية في عصرها الذهبي، والتي شهدت تطوراً في جميع المجالات اللغوية منها والعلمية، حيث كان العربي لا يجد أدنى صعوبة في التعبير عن مستجدات عصره، وتسمية الأشياء المستحدثة جديداً بمسمياتها، وهو ما جعل اللغة العربية في ذلك العصر لغة العلم بدون منازع باعتبار أن العرب حينها كانواْ روادا للعالم في علوم الصناعة والطب والفيزياء والكيمياء والعلوم الإنسانية وحتى اللغوية، هاته الأخيرة التي شهدت اهتماماً واضحاً من لدن علماء اللغة، حيث شهدت نهاية القرن الثاني الهجري نهضة لغوية عرفت تقعيداً علمياً للعديد من العلوم اللغوية كعلم الأصوات وعلم الصرف والنحو وعلم الدلالة وعلم البلاغة، وقد ذهب العلماء في هذه العلوم اللغوية مذهب الاصطلاح جاعلين اللغة العربية الجاهلية مرجعية في استحداث المصطلحات اللسانية الخاصة بهذا العلوم، مما جعل اللغة العربية تزخر بكمٍ هائلٍ من المصطلحات اللسانية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والبلاغية والتي ظهر تأثيرها الإيجابي على مستويات اللغة العربية، وانعكس على مسار التطور المصطلحي للغة العربية في ذلك الحين، لكن التغير

الحضاري الذي شهده العالم بعد ذلك والتطور التكنولوجي الذي وصل إليه الغربيون والاهتمام الذي حظيت به لغاتهم جعل اللغة العربية تبدوْ في موقف المقلد بعدما كانت رائدة في زمانها، وهو ما دفع الغيورين على هذه اللغة إلى الاهتمام بالمصطلح اللساني محاولة السير مع الركب الحضاري باستحداث مصطلحات كمقابلات للمصطلحات الحضارية الغربية، إلا أن انعدام التوحد المصطلحي واستعمال آليات وضع المصطلح بشكلٍ عشوائي وعدم إخضاع المصطلح اللساني إلى مستويات اللغة العربية، جعل المصطلح اللساني في اللغة العربية يشهد اضطراباً واسعاً سواءً على مستوى التعدد في المصطلح أو على مستوى البنية الإفرادية والتركيبية والدلالية للمصطلح، ولعل هذا الاضطراب وعدم مراعاة المستويات اللغوية من صرفٍ وصوتٍ ونحوٍ وبلاغةٍ في وضع المصطلح يشكل خطراً على واقع الاصطلاح في اللغة العربية.

فمنهج الراغب في تحديد المصطلح القرآني جعله يقف على أهم إشكالات وضع المصطلح والمتمثلة في صعوبة التفريق بين ثنائية المفهوم والمصطلح وهو ما عالجه الراغب بنظرة تطبيقية في كتابه المفردات تنبأ عن نمو حسه اللغوي وامتلاكه آليات التحليل الدلالي:

4- منهج التفريق بين دلالة اللفظ والدلالة باللفظ:

إن هذا المنهج يعد من أهم مباحث الألفاظ وهو منهج منطقي استعمله الراغب في كتابه للتفريق بين دلالة اللفظ على معناه باعتبار

نوعه أن كان مطابقة أو تضمناً أو التزاماً[1] كدلالة لفظ الصلاة في الشريعة الاسلامية على العبادة المخصوصة دلالة مطابقة، ودلالة اللفظ نفسه على الدعاء، أو التبريك، أو التمجيد دلالة تضمن، ودلالته على العبادة والخضوع لله تعالى دلالة التزام وهي دلالة تستند إلى لازم عقلي لحصولها [(2)].

أما الدلالة باللفظ فتعرَّفُ على أنها ((استعمال اللفظ إما في موضعه، وهي الحقيقة، أو في غير موضعه لعلاقة بينهما، وهو المجاز، وهذه (الباء) في قولنا الدلالة باللفظ باء الاستعانة))[(3)]، لأن المتكلم يستعين باللفظ للدلالة على المعنى الأصلي أو الهامشي قصد إفهام المتلقي وهو ما ذكره الراغب مبينا استعمال الدلالة باللفظ في موضع الحقيقة والمجاز مفسراً قوله تعالى: (وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)[4] بقوله: ((فدل باللفظين على أنه لا يجوز وطْؤُهُنَّ إلا بعد الطَّهارة والتَّطْهير ويؤكد ذلك قراءة من قرأ: (حتى يطَّهَّرْنَ) أي يَفْعلْنَ الطَّهارةَ التي هي الغُسلُ. قال تعالى: (وَيحبُّ المُتطهرين) أي التاركين للذنب والعاملين للصلاح...))[(5)]، فيرى الراغب أن الله سبحانه وتعالى دل بلفظ الطهر في الآية على معناه

---

[1] 222، 223. ينظر: الدلالة عند الراغب الأصفهاني، ص

[2] ينظر : المفردات، مادة (صلا)، ص287.

[3] مبادئ المنطق، أبو عبد الرحمان الأخضري، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004م، ص25.

[4] سورة البقرة، الآية: 222.

[5] المفردات، ص353.

الحقيقي وهو الطهارة من النجاسة، وعلى معناه المجازي وهو التطهير من الذنب وهي دلالة باللفظ على المعنى الحقيقي والمجازي للفظ الطهر، وما يؤكد ذلك استعماله عبارة (دل باللفظين) مما يدل على معرفته الحثيثة بمناهج المنطقيين في تناولهم لمباحث الألفاظ، كاستخدامهم منهج التفريق بين دلالة اللفظ والدلالة باللفظ الذي له أثر في تحديد مجال الدراسة الدلالية لدى الباحث العربي بعيداً عن الخلط والاضطراب في استعمال المصطلحات عند التحليل الدلالي للألفاظ، فما قدمه الراغب وعلماء العربية الذين سبقوه والذين عاصروه ينم عن حبهم الدفين للغة القرآن، وعن إدراكهم العميق لفضله على المتكلم وعلى لغته التي تحتاج من حين إلى آخر إلى ألفاظ تزينها، ومفردات تسوقها نحو الرقي بالمجتمع والإنسان وحياته.

المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم برواية حفص

– مناهج البحث في التراث العلمي العربي، مسلم الزيبق، ص67 مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد، الإمارات، 1993م.

2– الدلالة عند الراغب الأصفهاني، المغيلي خدير، إشراف: أحمد حساني، رسالة دكتوراه، جامعة السانيا– وهران، 2010م.

3– المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت،لبنان، ط3، 2001م

4– شرح مختصر الروضة، ابن سعيد الطوفي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط4، 2003م

5– البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث. القاهرة. مصر،2006م

6– دراسات في الدلالة والمعجم، رجب ابراهيم، ص46، دار غريب للطباعة والنشر.

7– المفاهيم والمصطلحات القرآنية مقاربة منهجية، عبد الرحمان حللي، www.almultaka.net، 25 مارس 2007م

8– فصول في علم اللغة العام، محمد علي عبد الكريم الرديني، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1 2004م

9–علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، بيروت– لبنان، ط5، 1998م

10– مبادئ المنطق، أبو عبد الرحمان الأخضري، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004م.